دراسات فى العلاقات السياسية

بين دول الشرق الإسلامى والدولة البيزنطية

فى العصور الوسطى

دكتور محمد جمال الدين سرور

١٩٦٠

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

دراسات فى العلاقات السياسية

بين دول الشرق الإسلامى والدولة البيزنطية
فى العصور الوسطى

دكتور محمد جمال الدين سرور

١٩٦٠

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى

— ١ —

الأمويون والبيزنطيون

كانت الحدود بين الدولة العربية والدولة الرومانية الشرقية فى بداية العهد الإسلامى غير مستقرة ويصعب تحديدها لأن الروم حين جلوا من الشام خرّبوا كل البلاد التى تصلح مراكز لهجوم العرب وأصبحت منطقة خربة يصعب عبورها .

وكان يقيم بمدينة الجرجومة على جبل اللكام بأعالى بلاد الشام بعض العشائر، عرفت فى المراجع العربية بالجراجمة، ويطلق عليهم العرب اسم المردة ؛ وكانوا يدينون بالمسيحية[1] . وقد هم فريق منهم باللحاق بالروم بعد أن فتح أبو عبيدة عامر بن الجراح أنطاكية خشية على أنفسهم من العرب ، فلم ينتبه إليهم المسلمون وتركوهم وشأنهم[2] . وأنزل الروم الجراجمة الذين وفدوا إلى بلادهم بعد الفتح العربى على حدود آسيا الصغرى الجنوبية ليكونوا درعا يتقون به غارات العرب .

لما كانت الدولة البيزنطية دولة بحرية أصبحت الضرورة الحربية تقضى بأن يكون للدولة العربية المعادية لها قوة تماثل قوتها . وكان عمر بن الخطاب شديد المعارضة فى ركوب البحر وكذلك كان عثمان بن عفان فى السنوات الأولى من خلافته ؛ لكن معاوية استطاع أن يقنعه بالفائدة التى تعود على دولته من إنشاء بحرية إسلامية ؛ فأجابه إلى طلبه واستحالت الممانعة فى

---

(١) حتّى : تاريخ سورية ص ٥٢ ـ ٥٣

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٦٤

ركوب البحر أيام عمر إلى ترحيب به فى أواخر عهد عثمان ؛ وأصبح للدولة العربية أسطول قوامه ملاحون من اليمن ومن أهالى سواحل الشام ومصر .

كان معاوية بن أبى سفيان أول من وضع للدولة العربية سياسة خارجية تتبعها إزاء الدولة البيزنطية ، ومما حمله على توجيه نشاطه إلى هذه الدولة رغبته فى إبعاد خطر الروم عن العرب ، هذا إلى طموحه فى الوصول إلى ذروة المجد عن طريق فتحه القسطنطينية بعد أن فاتته فرصة إظهار شخصيته فى الفتوح العربية الكبرى ، ومن ثم بدأ فى غزو الأملاك البيزنطية فى البحر الأبيض المتوسط بعد أن أصبح للدولة الإسلامية أسطول بجانب قوتها البرية ؛ فغزا جزيرة قبرس سنة ٢٨ هـ (٦٤٩ م) فى خلافة عثمان بن عفان ، كما خرج والى مصر إذ ذاك عبد الله بن سعد بن أبى سرح على رأس الأسطول الإسلامى ، واشتبك مع الروم فى معركة ذات الصوارى[١] البحرية سنة ٣٤ هـ (٦٥٤ م) ، وأوقع الهزيمة بأسطولهم الذى كان يقوده الأمبراطور قنسطانز الثانى[٢] .

ظل معاوية منذ جمعت له ولاية الشام فى أيام عمر إلى أن توفى سنة ٦٠هـ يغزو أراضى الدولة البيزنطية ، وسار بنفسه فى أواخر ٣٢ هـ (٦٥٣هـ) إلى القسطنطينية وحاصرها ، ثم اضطر إلى رفع الحصار عنها للأحداث الداخلية التى وقعت فى الدولة العربية ، هذا إلى مناعتها الطبيعية والصناعية .

لم يغز معاوية بلاد الدولة البيزنطية فى المدة التى بين سنتى ٣٣ ، ٤٠ هـ وإنما عقد فيها هدنة مع الأمبراطور البيزنطى قنسطانز الثانى ، مؤداها أن يدفع له مبلغاً من المال سنوياً ؛ وكان مما دعا معاوية إلى عقدها رغبته فى اتخاذ

---

(١) عرفت بذلك لكثرة صوارى المراكب التى اشتركت فى القتال

(٢) أنظر : الكندى : الولاة والقضاة ص ١٢ ـ ١٣

الحيطة لمحاربة خصمه على بن أبى طالب . فلما انتصر عليه وأصبح فى غنى عن هذه الهدنة التى قبلها مضطراً سعى فى التحلل منها، فامتنع عن دفع الإتاوة واستؤنفت الحروب بين الدولة العربية والدولة الرومانية الشرقية سنة ٤١ هـ (٦٦١ م) .

على أن معاوية وإن كان قد غزا القسطنطينية ووصل إلى أسوارها فى عهد إمارته على الشام، فإنه لما أصبح خليفة لم يسر إليها بنفسه ، بل أعد سنة ٤٨ هـ (٦٦٨ م) حملة برية وبحرية بقيادة فضالة بن عبيد الأنصارى[١] لارتياد أسهل الطرق التى تؤدى إلى الاستيلاء على القسطنطينية ؛ ثم جهز فى العام التالى جيشاً ضخماً ليكون مدداً لقواته التى أرسلها من قبل إلى حاضرة الدولة البيزنطية، وأسند إلى ابنه يزيد قيادته ـ وكان إذ ذاك قد أخذ يرشحه لولاية العهد ـ ؛ واشترك فى هذه الغزوة غير واحد من كبار الصحابة ، نذكر من بينهم : عبد الله بن عباس المحدث المشهور ، وأبو أيوب الأنصارى[٢] الذى أضاف النبى فى داره على أثر هجرته إلى المدينة . ولما اجتمعت هذه القوات أمام أسوار القسطنطينية ، شرعت فى تضييق الحصار عليها من البر والبحر ، كما أخذت تهاجمها بضعة أيام دون أن تظفر منها بشىء ؛ ثم اضطرت إلى رفع الحصار عنها سنة ٦٧٠ م فى عهد الامبراطور قسطنطين الرابع (٦٦٨ — ٦٨٥ م) ؛ وعاد يزيد مع الجيش العربى إلى الشام[٣] . أما البيزنطيون فإنهم رأوا — بعد تلك الأخطار التى تعرضت لها حاضرتهم — أن يوجهوا اهتمامهم إلى تقوية وسائل الدفاع عنها .

---

(١) حتّى : تاريخ سورية . ص ٤٦

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم الملوك جـ ٤ . ص ١٧٣

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٣ ص ١٨١ ـ ١٨٢

وعلى الرغم من الصعوبات التى واجهت القوات العربية أثناء حصارها القسطنطينية ، فإن معاوية عول على إنفاذ حملة أخرى لغزو هذه المدينة ، وأمدها بأسطول قوى. واستأنفت هذه الحملة مهاجمة القسطنطينية سنة ٦٧٤م؛ غير أنها لم تشتبك مع البيزنطيين فى حروب متصلة ، كما لم تستمر طويلا فى حصار عاصمتهم ، بل كانت ترتد عنها فى الشتاء وتعاود حصارها فى الصيف . ودارت خلال هذا الحصار عدة معارك حربية بين الأسطولين العربى والبيزنطى فى مضيق البسفور وبحر مرمرة[١] . لكن للمرة الثانية لم تستطع القوات العربية أخذ هذه المدينة لحصانتها من جهة ، ولاستخدام البيزنطيين النار اليونانية التى أنزلت كثيرا من الأضرار فى سفن العرب . واضطر معاوية بعد أن ظلت قواته البرية والبحرية مدة سبع سنين فى مناوشات ومعارك غير مجدية مع البيزنطيين إلى استرجاع جنده سنة ٦٨٠ م والدخول فى مفاوضات معهم ، انتهت بعقد صلح الفريقين، تعهد بمقتضاه الخليفة الأموى أن يؤدى للامبراطور البيزنطى قسطنطين الرابع مبلغاً معيناً من المال كل سنة[٢] .

لما توفى معاوية ووقع الاضطراب فى الدولة العربية فى عهد ابنه يزيد ، ثم فى عهد مروان بن الحكم حاول الروم استغلال هذا الاضطراب على الرغم من أن هناك صلحاً بينهم وبين العرب ليحصلوا على مزايا جديدة وذلك بالضغط على خصمهم ؛ فطلب الامبراطور جستنيان الثانى من عبد الملك بن مروان النزول عن نصف إيراد أرمينية وقبرس ؛ فقبل الخليفة الأموى

---

(١) حتى : تاريخ سورية . ص ٤٨

(٢) انظر : Bury, History of the Later Roman Empire Vol II pp. 310-312
Vasiliev, Histoire de L'Empire Byzantin I pp. 283-284.

مطالب الروم لأن مركزه فى داخل دولته كان فى أشد حالات الحرج ، وعلى الأخص فى بلاد الحجاز والعراق ؛ واشترط أن تنقل الدولة البيزنطية الجراجمة عن الأراضى التى كانوا يحتلونها على حدود الشام الشمالية إلى داخل آسيا الصغرى ؛ فقبل الامبراطور البيزنطى هذا الشرط ؛ وبذلك زال خطرهم عن المسلمين(١) .

ولما استقرت الأمور فى الدولة العربية لعبد الملك بن مروان سنة ٧٣هـ وأصبح آمناً على سلطانه فى الداخل عول على انتهاز الفرص لإلغاء الصلح الذى عقده مع الروم ؛ فلما أغار قائد الحامية البيزنطية التى فى الجهة الشرقية من آسيا الصغرى على مقاطعة أرمينية الإسلامية وضمها إلى القسم التابع لدولة الروم من إقليم أرمينية ، رأى عبد الملك فى هذه السياسة الاستعمارية نقضاً جديداً من ناحية الروم للعهد المبرم بينهم وبين الدولة العربية ؛ ومن ثم أعلن الحرب على الروم . ودارت الحرب بين الفريقين فى الشرق والغرب ، ففى الشرق أوقع العرب الهزيمة بالامبراطور جستنيان الثانى فى واقعة كبيرة عند بلدة سيباستوبليس (Sebastopolis) فى قيليقيا ؛ أما فى الغرب ، فكانت الحرب سجالا فى إقليم افريقية (تونس) ، تارة ينتصر العرب وطورا ينتصر الروم ؛ وظل الحال على ذلك إلى أن أسندت القيادة إلى موسى بن نصير ، ففتتح منطقة شمال إفريقيا واستولى على قرطاجنة وجلت حاميات الروم عن تلك المنطقة عائدة إلى القسطنطينية ؛ وفى أثناء رجوعها ، اشتد سخط الروم على الامبراطور ليونتيس (Leontius) لهذه الهزيمة التى لحقت بهم ؛ فثاروا عليه وخلعوه وولوا مكانه الامبراطور تيبريس الثالث (Tiberius III) الذى انتقم من سلفه ، فجدع أنفه وحبسه فى بعض الأديرة .

استقرت الأمور فى الدولة العربية فى عهد الوليد بن عبد الملك وأخيه

(١) انظر : Vasiliev, Hist. de L'Empire Byzantin I p. 285.

سليمان ؛ ولم يبق للفوضى القديمة التى سادت فى عهد معاوية وعبد الملك وجود. أما الدولة البيزنطية ، فكانت على عكس ذلك ؛ فقد استحكمت فيها الفوضى واشتد النزاع على العرش ، وانقسم الروم إلى شيع وأحزاب .

لم يكن عدم استقرار الأمور فى الدولة البيزنطية بسبب النزاع على العرش خافياً على حكومة دمشق فى عهد الوليد بن عبد الملك ، فحاول هذا الخليفة الانتفاع بالاضطراب السائد فى تلك الدولة فى الوقت الذى كانت جيوشه تغزو فى الشرق والغرب ورأى أن يتم فتوحه بتقويض عرش الدولة البيزنطية والاستيلاء على حاضرتها ؛ فأخذ يعد حملة برية وأخرى بحرية لحصار القسطنطينية .

على أن الامبراطور أنستاسيس الثانى (Anastasius II) ما لبث أن أعد العدة لإحباط هذا المشروع سنة ٧١٤ م ؛ فبعث سفناً إلى مرافىء الشام التى كانت تبنى فيها السفن العربية لإحراق خشبها وعرقلة سيرها ، لكنه لم يفلح فى تحقيق غرضه وتوفى الوليد سنة ٩٦ هـ (٧١٥ م) قبل أن يتم تكوين الحملة ؛ فلما خلفه أخوه سليمان مضى فى تنفيذ ذلك المشروع . فأرسل القوة البرية إلى آسيا الصغرى تحت قيادة أخيه مسلمة سنة ٩٨ هـ (٧١٦م) ، وأمر عمر بن هبيرة قائد الأسطول العربى بالإبحار إلى القسطنطينية، ورابط الخليفة بقوة عند دابق بالقرب من حلب ليكون مدداً عند اللزوم للحملة العربية .

ولما اجتاح مسلمة بن عبد الملك آسيا الصغرى ووصل إلى بلدة عمورية، أخذ فى محاصرتها، وكان يتولى الدفاع عنها ليو الأيسورى[1] (Leo the Isaurian)،

(١) ورد اسمه فى المراجع العربية إليون [انظر الطبرى : ج ٥ . ص ٢٩٢] . قيل إنه من أصل سورى ؛ ولد فى مرعش ، وكان يجيد العربية واليونانية [حتى : تاريخ سورية . ص . ٥]

وقد عرف عنه أنه يتطلع إلى عرش بيزنطة ويطمع فى انتزاعه من الامبراطور ثيودسيوس الثالث، فحاول الاستعانة بالعرب للوصول إلى الملك ؛ ومن ثم دخل فى مفاوضات مع مسلمة وأوهمه بأنه إذا ساعده على ارتقاء عرش الدولة البيزنطية يتعهد له بأداء جزية سنوية للدولة الاسلامية ويصبح تابعا للخليفة العربى ، فاغتر مسلمة بهذا الوعد ورفع الحصار عن عمورية . أما ليو فسار من فوره صوب القسطنطينية — وكان بها اثنان يتنافسان على الملك ، وهما ثيودوسيس وأنستاسيس ؛ فأوهم أهل القسطنطينية أنه خدع القائد العربى ، وأنه إن ملكوه عليهم صدَّ عنهم غارة العرب ، فلم يشكوا فى قوله وتوجوه امبراطوراً للدولة البيزنطية باسم ليو الثالث (مارس ٧١٧ م) . وكان مسلمة وقتذاك يرابط بجيوشه أمام القسطنطينية ينتظر أن يرسل إليه ليو الأموال ويحقق ما وعده به . أما الأسطول العربى ، فدخل مضيق القسطنطينية ورابط فى البسفور (سبتمبر ٧١٧ م) .

لما لم يف ليو بوعده ، صمم مسلمة على مداومة الحصار ، وأمر أتباعه بادخار المؤن وزراعة الأرض ، فصارت — كما يقول الطبرى[1] — أمثال الجبال من كثرتها ؛ فخشى ليو عاقبة استمرار العرب فى محاصرة القسطنطينية ، ودخل فى مفاوضات أخرى مع مسلمة . وكان ليو كلما اشتد الحصار لجأ إلى مفاوضة مسلمة ومصانعته ، فتخف وطأة الحصار وتتسرب المؤن إلى المدينة . لكنه لم يلبث أن غدر بمسلمة وأصبح محارباً له[2] . ثم أقبل الشتاء — وكان شديداً قارساً — فهلك كثير من الجند المحاصرين ضحية البرد . وفى الربيع التالى وصلت إلى مسلمة إمدادات برية وبحرية ، فقدم أسطول من الاسكندرية

(١) ج ٥ ص ٢٩١

(٢) الطبرى : ج ٥ ص ٢٩٣

وآخر من شمال إفريقيا. لكن هذه النجدات لم تتمكن من إحكام الحصار حول القسطنطينية ، كما أن ليو بعث إلى خارج الميناء ببعض سفنه المزودة بقاذفات النار اليونانية، فانقضت على السفن العربية وأوقعت فيها الاضطراب والخلل[١]. وفضلا عن ذلك فإن المجاعة بدأت تهاجم المعسكر الإسلامى ، فأخذت مخازن الأقوات فى النفاد ، ولقى الجند كثيراً من الشدائد ، إذ اضطروا إلى أكل الدواب وأوراق الشجر[٢] .

لم تضعف عزيمة مسلمة رغم المشقات التى صادفها أثناء قتاله مع البيزنطيين، فأصر على مواصلة حصار القسطنطينية حتى جاءته الأخبار بوفاة سليمان بن عبد الملك ، ثم اضطر إلى الانسحاب (١٥ أغسطس ٧١٨ م) تنفيذاً لأوامر الخليفة الجديد عمر بن عبد العزيز الذى أرسل إليه يأمره بالقفول بمن معه من المسلمين ، وأنفذ إليه خيلا وكثيراً من المؤن[٣] . فعاد مسلمة مع ثلاثين ألف جندى ، أما بقية الأسطول فحطمته أثناء عودته عاصفة عنيفة[٤] ، ولم يصل منه سالما إلى الشاطىء السورى سوى خمس سفن .

على أن عدم نجاح العرب فى محاولة الاستيلاء على القسطنطينية فى أيام سليمان ابن عبد الملك لم يثن عزمهم عن غزو أراضى الدولة الرومانية، بل استمرت الغزوات صيفاً وشتاء فى عهد هشام بن عبد الملك بقيادة أولاد الخليفة نفسه ، نخص بالذكر منهم معاوية والد عبد الرحمن الداخل . لكن العرب لم يحالفهم التوفيق فى أيامه ، فأوقع بهم الروم الهزيمة فى واقعة أكريونن[٥]

---

(١) Bury, A History of the Later Roman Empire Vol II p. 402

(٢) الطبرى : ج ٥ ص ٢٩٣

(٣) ابن الأثير : ج ٥ ص ١٦ ـ ١٧

(٤) حتى : تاريخ سورية ص ٥٠ ـ ٥١

(٥) تقع جنوب بلدة Doryleum (إسكى شهر)

(Akroinon) سنة ٧٤٠ م التى تعتبر خاتمة الوقائع العربية الرومانية فى العهد الأموى .

وهكذا لم يتيسر للعرب فى العهد الأموى فتح القسطنطينية ؛ ويرجع السبب فى ذلك إلى العوامل الآتية :

١ — بعد المسافة بين قواعدهم الحربية والقسطنطينية نفسها .

٢ — مناعة القسطنطينية وحصانتها من الناحية الطبيعية والصناعية .

٣ — شجاعة البيزنطيين فى الدفاع عن حاضرة دولتهم

٤ — استخدام البيزنطيين النار اليونانية فى صدهجمات العرب عن أسوار القسطنطينية . وكانت تلك النار تستعمل فى الوقائع البرية والبحرية ، فتقذف من فوق الأبراج أو الأسوار فى آنية كبيرة أو تطلق فى كرات مشتعلة من الحديد .

وقد عانى العرب كثيراً من فتك النار اليونانية بسفنهم أثناء حصارهم القسطنطينية ، فاضطر مسلمة بن عبد الملك إلى الارتداد بجيوشه وأساطيله عن أسوار المدينة ، والمرابطة بقواته البرية والبحرية فى مراكز بعيده على الشاطىء الأوربى .

وليس من شك فى أن استخدام البيزنطيين النار اليونانية فى حروبهم قضى على طموح الخلافة الأموية فى غزو الدولة الرومانية الشرقية ، واضطرها إلى تحويل تيار غزوها نحو بلاد المغرب والأندلس .

* * *

لم تكن العلاقة بين الروم والعرب فى العصر الأموى مقصورة على مجرد تبادل الغارات والحروب ، وإنما أدى اتصالهم ببعض بحكم الجوار إلى تأثر كل فريق بالآخر ، فمن الناحية السياسية تأثرت خلافة الأمويين بالنظم السائدة فى الدولة الرومانية الشرقية فسميت قيصرية أو هرقلية بمعنى أنها قائمة

على النظام الامبراطورى البيزنطى؛ فمعاوية كان فى مظهره السياسى كالامبراطور البيزنطى ، كما أنه هو وخلفاؤه من بعده عاشوا فى شىء من الأبهة لم يعرفه الخلفاء الراشدون من قبل . وقد لاحظ عمر بن الخطاب حين ذهب إلى الشام أن معاوية — وكان وقتذاك يتقلد ولاية هذه البلاد — يحيط نفسه بمظاهر الأبهة ، فأنكرها عليه فى بادىء الأمر ، ثم أقرها على اعتبار أن مجاورته للروم تضطره إلى اتخاذ هذا المظهر .

كذلك كان من أثر اتصال العرب بالروم أن شاعت العملة الرومية فى بلادهم ؛ فصاروا يتعاملون بالدنانير البيزنطية جنباً إلى جنب مع النقود الإسلامية التى سكها خلفاء الدولة العربية وأمراؤها وظل الحال على ذلك إلى أن ولى عبد الملك بن مروان الخلافة ، فرأى بعد أن تمهدت له الأمور فى الدولة العربية أن يصلح السِّكة ويوحدها فى جميع أنحاء دولته ، كما عمد أمام الخصومة القائمة بينه وبين الروم إلى التخلص من عملتهم المتداولة فى بلاده[1] ؛ فأنشأ داراً لضرب النقود فى دمشق وسك عملة جديدة من الذهب والفضة ؛ وأمر بأن ينقش عليها بعض الآيات القرآنية ، وأرسل إلى الأمصار الإسلامية يأمر ولاتها بضرب النقود العربية بمقتضى السكة التى ضربها .

ولما رأى الروم أن الأموال التى يؤديها عبد الملك إليهم طبقاً لشروط الصلح التى عقدها معهم مكتوب عليها آيات قرآنية ، استاءوا من ذلك واعتبروه إهانة موجهة إليهم لعدول العرب عن عملتهم من جهة ولنقشهم على العملة الجديدة آيات قرآنية من جهة أخرى ، ومن ثم ازداد التوتر فى العلاقات بين الفريقين .

أما عن تأثر الروم بالعرب ، فنستطيع أن نقول على ضوء أحداث ذلك العصر أن الديانة الإسلامية التى سادت البلاد العربية ، أثرت بعض

(١) انظر : البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٤١ — ٢٤٢

الشيء فى الروم، ذلك أنه قد شاع فى الدولة البيزنطية فى القرنين السادس والسابع الميلاديين عبادة الصور (Iconclasm) التى تمثل المسيح والسيدة مريم والقديسين ، حتى إن الكنائس والأديرة كانت تتبارى فى اقتناء مثل هذه الصور. وكان كثير من البيزنطيين يعرفون أن الديانة الإسلامية تحرم تقديس الصور وعبادتها ، ومن هؤلاء ليو الأيسورى الذى وجه اهتمامه — بعد أن ولى عرش بيزنطة وتخلص من خطر حصار الجيوش العربية — إلى القضاء على بدعة عبادة الصور ، فأصدر أمره بتحطيم التماثيل والصور فى الكنائس والأديرة[1] . وقد وصفه بعض المؤرخين البيزنطيين بسبب ميوله اللاإيقونية بأنه « ذو عقلية عربية[2] » .

ولما توفى ليو سنة ٧٤٠ م خلفه ابنه قسطنطين الخامس، فحذا حذوه فى القضاء على عبادة الصور ، وأمر بإغلاق الأديرة وسمح للرهبان بالتزوج . وهنا نجد تأثيراً مباشراً للاسلام . وقد أدت هذه السياسة الدينية التى اتبعها الامبراطور إلى نفور البابوية من الدولة البيزنطية ؛ ومن ثم ولّى البابوات وجوههم شطر ملوك غرب أوربا .

---

(١) أنظر : Vasiliev, Hist. de L'Empire Byzantin I p. 342-343.

(٢) Baynes, the Byzantine Empire p.

— ٢ —

العباسيون والبيزنطيون

لم ينته التوتر الذى ساد العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين بانتقال الحكم إلى العباسيين سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠م)، بل ظلت الحروب مستمرة بين الفريقين، لكنها اتخذت وجهة جديدة، فصارت أشبه بالغارات منها بحروب منظمة، وهذا يخالف ما كانت عليه الحال أيام الأمويين الذين اتبعوا سياسة مغايرة كانت تهدف إلى الإستيلاء على القسطنطينية.

بدأت غارات البيزنطيين على أراضى الدولة العباسية فى عهد أبى جعفر المنصور، فاستولوا على ملطية سنة ١٣٨ هـ؛ غير أن المسلمين ما لبثوا أن تمكنوا من استردادها فى العام التالى[١]. وظلت الحروب رغم ذلك تشتعل من حين لآخر بين الفريقين حتى سنة ١٥٥ هـ حيث طلب الامبراطور قسطنطين الخامس الصلح على أن يؤدى للخليفة العباسى جزية سنوية[٢].

عاد البيزنطيون إلى شن غاراتهم على حدود الدولة الإسلامية فى عهد الخليفة المهدى؛ فاستولوا على مرعش؛ فأنفذ إليهم الخليفة جيشاً بقيادة الحسن بن قحطبة، ثم اضطر بعد أن بلغه تجدد غارات البيزنطيين إلى الخروج بنفسه على رأس جيش بلغ عدده مائة وخمسين ألفاً وعسكر بمدينة حلب، وأرسل ابنه هارون مع جيش يضم بعض كبار العباسيين إلى بلاد الروم، فأوقع هذا الجيش الهزيمة بقواتهم سنة ١٦٣ هـ.

---

(١) Muir, the caliphate, p. 451

(٢) انظر ابن الأثير: ج ٥ ص ٢

ولما وصل إلى الخليفة المهدى العباسى أن غارات الروم على أراضى الدولة العباسية عادت سيرتها الأولى ، جهز فى سنة ١٦٥ هـ جيشاً كبيراً وأسند قيادته إلى ابنه هارون ؛ فسار هذا الجيش حتى بلغ البسفور ؛ فاضطرت الملكة إيرينى (Irene) — وكانت وقتذاك وصية على ابنها قسطنطين السادس — إلى طلب الصلح ، وتعهدت بأن تدفع للمسلمين جزية سنوية ، وأن تقيم لهم الأدلاء والأسواق فى الطريق عند عودتهم إلى بلادهم[١]. واتفق الطرفان على عقد هدنة بينهما مدتها ثلاث سنوات[٢] .

ولما ولى الرشيد الخلافة سنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) عنى بتأمين حدود دولته المجاورة لبلاد الروم ، فأنشأ إقليما بهذه المنطقة عرف بإقليم العواصم والثغور ، كما وجه اهتمامه إلى صد غارات البيزنطيين . وشجعه اضطراب الحالة الداخلية فى الدولة البيزنطية على التوغل فى بلاد آسيا الصغرى ، فانتصر على البيزنطيين فى كثير من المعارك . ورأت الامبراطورة Irene تحت حكم الظروف المحيطة بها أن تهادن الرشيد وتؤدى إليه إتاوة . ولما نزلت هذه الامبراطورة عن العرش ، وخلفها الامبراطور نقفور (Nicephorus) ساءه عقد هذه الهدنة مع الخليفة العباسى ، وأرسل كتاباً إلى الرشيد يصغر فيه من شأنه ويلح عليه فى رد الإتاوة التى دفعتها له أيرينى . وكان مما جاء فيه[٣] : « من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب ، أما بعد ، فإن الملكة التى كانت قبلى أقامتك مقام الرخ ، وأقامت نفسها مقام البيدق ، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثالها إليها ، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن ، فإذا قرأت كتابى ، فاردد ما حصل قبلك من أموالها ، وافتد

(١) ابن الأثير : ج ٥ ص ٢٢ ، Miur, the caliphate p. 470-471

(٢) الطبرى : ج ٦ ص ٣٨٠

(٣) الطبرى : ج ٦ ص ٥٠٠ — ٥٠١

نفسك بما تقع به المصادرة لك ، وإلا فالسيف بيننا وبينك » ؛ فرد عليه الرشيد بما يأتى : « بسم الله الرحمن الرحيم . من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم ، قد قرأت كتابك والجواب ماتراه دون أن تسمعه ، والسلام . » ، ثم عزم على محاربته ، فسار إليه على رأس جيش كبير سنة ١٩٠ هـ (٨٠٦ م) مخترقاً آسيا صغرى ، وظل يتابع إغاراته حتى استولى على هرقله (Heraclea) . واضطر الامبراطور نقفور إلى طلب الصلح بسبب انشغاله بفتنة قامت فى بلاده ، وتعهد بدفع جزية قدرها خمسين ألف دينار .

على أن قوات الروم مالبثت أن تقدمت فى العام التالى (٨٠٧ م) نحو أراضى الدولة الإسلامية وهاجمت المسلمين فى مرعش وطرسوس [١] وألحقت بهم خسائر فادحة . وكان الرشيد إذ ذاك منشغلا بإخماد ثورة فى بعض أنحاء دولته ، ولذلك لم يستطع أن يستعيد البلاد التى استولى عليها الروم[٢] .

لما توفى الرشيد سنة ١٩٣ هـ (٨٠٩ م) ، شغلت الدولة العباسية بالفتنة التى قامت بين الأمين والمأمون ، ولم تقع حوادث تستحق الذكر فى العلاقات بين الشرق والغرب . وظلت الأمور مضطربة فى الدولة الإسلامية حتى ولى المأمون الخلافة ، وكذلك كانت الحال بالنسبة للدولة البيزنطية ، فلم تمكنها الاضطرابات الداخلية من التقدم فى أراضى الدولة العباسية .

تطور العداء بين العباسيين والبيزنطيين منذ عهد المأمون (٨١٣ - ٨٣٣م) ، وليس أدل على ذلك من أن الدولة البيزنطية غدت ملجأ لطائفة الخرمية [٣]

---

(١) Miur, the caliphate p. 478

(٢) أتباع بابك الخرمى الذى ثار سنة ٢٠١ هـ على المأمون

الخارجة على الخلافة العباسية ، كما أصبحت الدولة الإسلامية ملجئاً للمضطهدين من الدولة البيزنطية ، فشجع المأمون : الثائر توماس الصقلبي الذى خرج فى آسيا الصغرى على الامبراطور ميشيل الثانى (٨٢٠ — ٨٢٩م) وأمده بجيش قوى يستعين به فى مهاجمة القسطنطينية[١] .

كذلك رحب المأمون بمانويل (Manuel) — أحد قواد البيزنطيين حين لجأ إليه ، وانتفع بخبرته العسكرية فى غزو بلاد الروم . غير أن الامبراطور البيزنطى ثيوفلس (Theophilus) شق عليه أن يحرم من خدمة هذا القائد ، فأنفذ بعثة الغرض منها فى الظاهر مفاوضة الخليفة ، لكن غايتها الأولى فى الواقع الاتصال بمانويل وإغرائه بالعودة إلى بلده . وقد أفلحت هذه البعثة فى تحقيق تلك الغاية بعد أن وثق مانويل من صفح الامبراطور عنه .

واصل الخليفة المأمون مجهوداته لصد الخطر البيزنطى عن الدولة الإسلامية ؛ فهاجم الجزء الشرقى من آسيا الصغرى واستولى على بعض الحصون (٨٣١ — ٨٣٢م) ، ولما عجز الامبراطور البيزنطى عن المضى فى الحرب ، كتب إلى المأمون يسأله الصلح وتبادل الأسرى ؛ فقال[٢] : « أما بعد ، فإن اجتماع المختلفين على حفظهما أولى بهما فى الرأى مما عاد بالضرر عليهما ولست حرياً أن تدع لحظ يصل إلى غيرك حظاً تحوزه إلى نفسك ، وفى علمك كاف من أخبارك ، وقد كنت كتبت إليك داعياً إلى المسالمة راغباً فى فضيلة المهادنة لتضع أوزار الحرب عنا ونكون كل

(١) فازيليف : العرب والروم ص ٢٨ ، ٣٦

(٢) الطبرى : ج ٦ ص ١٩٤

واحد لكل واحد ولياً وحزباً مع اتصال المرافق والفسح فى المتاجر وفك المستأسر وأمن الطرق والبَيْضة ، فإن أبيت ... فإنى لخائض إليك غمارها ... »

لكن المأمون رفض الصلح لأنه رأى ألا يترك فرصة الاضطراب السائد بالدولة البيزنطية دون أن يزحف إلى القسطنطينية ويهاجمها ؛ وبعث كتاباً إلى الامبراطور البيزنطى ، قال فيه : « أما بعد ، فقد بلغنى كتابك فيما سألت من الهدنة ودعوت إليه من الموادعة وخلطت فيه من اللين والشدة مما استعطفت به من شرح المتاجر واتصال المرافق وفك الأسارى ورفع القتل والقتال ، فلولا مارجعت إليه من أعمال التؤدة والأخذ بالحظ فى تقليب الفكرة ... لجعلت جواب كتابك خيلا تحمل رجالا من أهل البأس والنجدة والبصيرة ... ، غير أنى رأيت أن أتقدم إليك بالموعظة التى يثبت الله بها عليك الحجة من الدعاء لك ولمن معك إلى الوحدانية والشريعة الحنيفية ، فإن أبيت ففدية توجب ذمة وتثبت نظرة ... » . ولم يلبث المأمون أن توفى سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) فى طرسوس أثناء خروجه لغزو الروم .

لما آلت الخلافة إلى المعتصم بعد وفاة أخيه المأمون ، حاول الامبراطور البيزنطى ثيوفلس الاتصال ببابك الخرمى لمعاونته فى ثورته على الخلافة العباسية ، كما أرسل بابك إلى هذا الامبراطور يحرضه على غزو أراضى الدولة الإسلامية (١) ، فزحف ثيوفلس إلى بلاد أرمينية ، ثم أغار على حصن زبطرة (Zapetra) سنة ٨٣٧ م ، وخرب هذه المدينة تخريباً تاماً ، وعاد إلى حاضرة دولته بغنائم كثيرة . وعندما علم بذلك المعتصم عوّل على

(١) فازيليف : العرب والروم ص ١٢٤

أن يفعل بعمورية مافعله ثيوفلس بزبطرة . وكانت عمورية تعتبر مفتاح القسطنطينية لحصانتها ومناعتها فضلا عن أنها موطن الأسرة الحاكمة فى الدولة البيزنطية ؛ فقد نشأ فيها ثيوفلس نفسه ، فخرج المعتصم من طرسوس على رأس جيش كبير بلغ عدد أفراده مائة وثلاثين ألفاً ، واصطحب نخبة من مشاهير القواد كالأفشين وأشناس ؛ وقسّم الخليفة جيشه قسمين ؛ تولى الأفشين قيادة أحدهما ، وقاد المعتصم القسم الآخر ؛ وسارت القوتان فى طريقين مختلفين ، ووجهة كل منهما أنقرة ، فلما التقى الأفشين بالامبراطور البيزنطى ، أوقع بقواته الهزيمة ، وتمهد بذلك السبيل أمام قوات العباسيين للسير إلى أنقرة والاستيلاء عليها . ثم قصد الخليفة عمورية ، فوصلها بعد سبعة أيام ، وأخذت قواته فى محاصرتها ، وبعد حصار دام اثنى عشر يوماً ، استطاعت هذه القوات اقتحام المدينة ، وأتت عليها نهباً وتخريباً ، وأكثرت فى أهلها القتل ، واستولت على كثير من السبى والغنائم ، ثم أحرقت المدينة فى النهاية[1] .

لما عاد المعتصم إلى سامرا بعد انتصاره على البيزنطيين فى عمورية سنة ٢٢٣ هـ (٨٣٨ م) أحتفل باستقباله ومدحه الشاعر أبو تمام الطائى الذى صحبه فى غزو عمورية بقصيدته البائية التى قال فيها[2] :

السيف أصدق أنباءً من الكتب ... فى حده الحدُّ بين الجد واللعب
والعلم فى شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا فى السبعة الشهب
أين الرواية أين النجوم وما ... صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

(١) انظر فازيليف : العرب والروم ص ١٤٧ ـ ١٥٢

(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٢٣

تخرصا وأحاديثاً ملفقة ليست بعجم إذا عدت ولا عرب

* * *

رأى المعتصم بعد أن أوقع الهزيمة بالروم فى عمورية أن يلحق بهم هزيمة أخرى فى البحر ، فأعد أسطولا مكوناً من أربعمائة سفينة ، وقوة كبيرة ليغزو بها القسطنطينية ، لكنه توفى قبل مسير هذه الحملة . فلما خلفه ابنه الواثق أمر بإنفاذها ، غير أن عاصفة أدركت الأسطول العربى جنوبى أنطاكية ، فأغرقته ، ولم يعد منه إلى سورية إلا سبع سفن[1] ، وبذلك لم يتيسر للعباسيين فتح عاصمة البيزنطيين .

لما تكاثر عدد الأسرى عند كل من المسلمين والبيزنطيين ، عرض الامبراطور ميخائيل الثالث بن ثيوفلس على الخليفة العباسى أن يعقد معه اتفاقا يتبادل بمقتضاه الأسرى ؛ فلقيت هذه الفكرة قبولا حسناً لدى الواثق ومن ثم اتفق الطرفان على وضع نظام خاص لذلك .

وردفى كل من كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبرى[2]، والتنبيه والإشراف للمسعودى[3] وصف للأفدية بين المسلمين والروم فى العصر العباسى ، ويتضح لنا من هذا الوصف الطريقة التى أتبعت فى فداء الأسرى ؛ فيروى الطبرى أنه فى المحرم من سنة ٢٣١ هـ (٨٤٥ م) ، جرى الفداء بين المسلمين والروم . وكان عدد الأسرى الذين مع الروم أكثر من الأسرى الذين مع المسلمين ، فرأى الخليفة الواثق أن يكمل النقص بشراء رقيق الروم من الأسواق ،

---

(١) فازيليف : العرب والروم ص ١٧٠ ـ ١٧١

(٢) ج ٧ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٤

(٣) ص ١٨٩ ـ ١٩١

كما أخرج من قصره كثيرا من النساء الروميات حتى تكافأ عدد الروم مع أسرى المسلمين . واستمر هذا الفداء أربعة أيام . وبلغ عدة من أفتدى أثناءها من المسلمين أربعة آلاف وأربعمائة وستين أسيراً من الرجال والنساء . وكان من بين الأسرى أهل ذمة من رعايا الدولة الإسلامية[١] .

تم تبادل الأسرى والفداء بين المسلمين والروم على نهر صغير غربى مدينة طرسوس بآسيا الصغرى ، يقال له نهر اللامس ؛ فوقف المسلمون من جانب النهر الشرقى ، والروم من الجانب الغربى. وكان الروم إذا أطلقوا أسيراً من المسلمين ، أطلق المسلمون أسيراً من الروم ، فإذا وصل المسلم إلى أهل ملته كبّر وكبّر المسلمون ، وإذا قدم الرومى إلى قومه تكلم وتكلموا هم كلاما يشبه التكبير .

ويحدثنا الطبرى[٢] فى رواية أخرى أن المسلمين أقاموا على نهر اللامس جسراً ، ونصب الروم جسرا آخر ، فكان المسلمون يطلقون أسرى الروم على جسرهم ، وكذلك كان يفعل الروم بأسرى المسلمين .

* * *

أدت الحروب المستمرة بين المسلمين والروم إلى بقاء أسرى العرب سنين طويلة فى بلاد الروم فيروى أنه مضى على بعض أسرى العرب عند الروم ثلاثون سنة، وكذلك أقام أسرى الروم بالبلاد الإسلامية فترة طويلة.

وقد تأثر كل من هؤلاء الأسرى بالحياة العامة فى هاتين الدولتين ، فالأسرى المسلمون الذين كانوا يقيمون السنين الطوال فى بلاد الروم كانوا

---

(١) الطبرى : ج ٧ ص ٢٣٣ ؛ فازيليف : العرب والروم ص ١٧٨

(٢) ج ٧ ص ٢٣٣

يعودون إلى الدولة الإسلامية بمعلومات كثيرة ليست معروفة لسكان البلاد التى ينتمون إليها . ففيما يتعلق بأسرى العرب نجد مسلم بن أبى مسلم الجرمى الذى كان من أهل الثغور ثم أسره الروم فى بعض الحروب، وأقام بالقسطنطينية وغيرها من بلاد الروم . وقد استطاع أثناء إقامته بهذه البلاد أن يكتب كتابا فى جغرافية الدولة البيزنطية ، تحدث فيه عن بلادها وطرقها ومسالكها وبحارها[1] . ومما يذكر عنه أنه لما جىء به مع غيره من الأسرى فى فداء سنة ٢٣١ هـ رفض القول بخلق القرآن ، فأصابه من جراء ذلك كثير من الضُّر . وكان الخليفة الواثق قد بعث إذ ذاك من يمتحن الأسرى المسلمين فى مسألة القرآن ، فمن قال منهم إن القرآن مخلوق وإن الله عز وجل لا يُرى فى الآخرة فُودى به ، ومن لم يقر بذلك ترك فى أيدى الروم[2] .

(١) المسعودى : التنبيه والإشراف ص ١٦٢

(٢) الطبرى : ج ٧ ص ٣٣٢

الحمدانيون والبيزنطيون

استغل البيزنطيون الاضطراب الذى ساد الدولة العباسية فى بداية القرن العاشر الميلادى لمتابعة غاراتهم على بلاد الدولة الاسلامية المجاورة لهم ؛ فتوغلوا فى هذه البلاد حتى وصلوا إلى الحدود الشمالية لبلاد الشام ، فتصدى لهم الحمدانيون الذين قامت دولتهم فى الجزيرة وسورية الشمالية (٩٢٩ — ١٠٠٣ م) ؛ وصارت حدود دولتهم متاخمة لحدود الدولة البيزنطية ؛ ومن ثم أصبح لزاما عليهم الوقوف فى وجه الروم . ويبدو أن الخلفاء نظروا إلى قيام الدولة الحمدانية نظرة ارتياح على اعتبار أنها ستحمى البلاد الاسلامية من غارات الروم ، بل إنهم شرطوا على الأمراء الحمدانيين فى عهود التولية القيام بواجب الجهاد والعناية بالثغور .

تعرضت الثغور الإسلامية[1] لغارات البيزنطيين المتتالية ، فلما استقرت الأمور لسيف الدولة الحمدانى بحلب سنة (٩٤٤ م) وجه اهتمامه إلى حمايتها ، كما بذل جهده ليحول دون تقدم الروم إلى الحدود الشمالية لدولته حتى قيل إنه غزا بلادهم المجاورة لبلاده أربعين غزوة . ولولا الجهود التى بذلها فى صد غاراتهم لاستولوا على بلاد الشام فى غفلة العباسيين . ونوه ياقوت

---

(١) تنقسم الثغور إلى قسمين : الثغور الجزرية والثغور الشامية ؛ فمن الأولى : منبج ، وسميساط ، ملطية ، وزبطرة ، وحصن منصور ، والحدث ، ومرعش . ومن الثانية : المصيصة وعين زربة ، وأذنة ، وطرسوس .
[انظر : ياقوت : معجم البلدان]

الحموى [١] بجهوده فى هذا السبيل بقوله : « ولم يزل هذا الثغر وهو طرسوس وأذنه والمصيصة وما ينضاف إليها بأيدى المسلمين والخلفاء مهتمين بأمرها لا يلونها إلا شجعان القواد والراغبين منهم فى الجهاد ، والحروب بين أهلها والروم مستمرة ، والأمور على مثل هذه الحال مستقرة حتى ولى العواصم والثغور الأمير سيف الدولة على بن أبى الهيجاء بن حمدان ، فصمد للغزو وأمعن فى بلادهم » . وقد روى أن سيف الدولة جمع من الغبار الذى أصابه فى غزواته ما صنع منه لبنة بقدر الكف ، أوصى بأن يوضع خده عليها فى لحده .

أحرز الحمدانيون بعض الانتصارات فى الحملات التى وجهوها إلى بلاد الروم بين سنتى ٩٥٣ — ٩٥٤ م ، فتوغل سيف الدولة فى بلادهم وأغار على زبطرة وعرقة وملطية ونواحيها ، ثم دخل سميساط ؛ غير أنه ما لبث أن تركها واتجه إلى مرعش ، فاستولى عليها وعلى كثير من المدن الواقعة على الحدود بين الدولة الإسلامية والدول البيزنطية ، واستمرت الحروب قائمة بين سيف الدولة والقائد البيزنطى ليون حتى فرغ القائد نقفور فوكاس (Nicephorus Phocas) من استرداد جزيره كريت من المسلمين سنة ٣٥٠هـ (٩٦١ م) ، فانضم إلى أخيه ليون بآسيا الصغرى .

بدأ نقفور جهوده الحربية فى آسيا الصغرى بأن نزل إلى قيليقيا عن طريق ممرات جبال طوروس الوسطى ، ثم حاصر عين زَرْبة واستولى عليها ، كما أغار على منبج وأوقع الهزيمة بأميرها أبى فراس الحمدانى وحمله أسيرا إلى القسطنطينية . وفى سنة ٩٦٢م ولى وجهه شطر حلب نفسها ، فسار إليها

(١) معجم البلدان : ج ٣ ص ١٧

على رأس جيش كبير يتألف من مائتى ألف فارس وثلاثين ألف راجل .

ولما بلغ سيف الدولة أن الروم فى طريقهم إلى حلب، دعا أهلها للاجتماع به ، وأشار عليهم بإغلاق أبواب المدينة والبقاء داخلها لحمايتها على أن يمضى هو وعسكره إلى ظاهر حلب . لكنهم آثروا الاشتراك معه فى غزو الروم ، وقالوا له : « لاتحرمنا أيها الأمير الجهاد ، وقد كان فينا من يعجز عن المسير إلى بلد الروم للغزو ، وقد قربت المسافة . » ، فقال لهم سيف الدولة : اثبتوا فإنى معكم . ثم تقدم إلى شمال حلب ، وعوّل على دفع ذلك الخطر الذى يهدد دولته من ناحية الروم . ومع أن قوات البيزنطيين كانت تفوق قواته فى العدد ، فإنه لم يضعف أمامها ، وظل يقاتل حتى حلت به الهزيمة ، وقتل كثير من أنصاره بينهم غير واحد من كبار الحمدانيين . واضطر سيف الدولة إلى الارتداد ظاهر حلب ، ثم رحل إلى قنسرين[1] .

أما الروم فإنهم صمموا على فتح حلب عنوة ، فضيقوا عليها الحصار ، وتم لهم أخيراً دخولها والاستيلاء عليها بعد معركة أسفرت عن قتل كثير من سكان المدينة عدا من وقع فى أيديهم من الأسرى والسبى .

كان لحادث سقوط حلب فى يد الروم سنة ٩٦٢م وقع سيء فى بغداد حيث اجتمع أهلها ووبخوا الخليفة المطيع لله بكائنة حلب ، وطلبوا منه أن يقود بنفسه حملة لإنقاذ هذه المدينة[2] . على أن الروم لم يستطيعوا البقاء طويلا بحلب ، فبعد أن نهبوا الأموال والمتاع وحطموا قصر سيف الدولة ، وأحرقوا المساجد وكثيرا من دور المدينة حاولوا الاستيلاء على قلعتها التى كانت

(١) انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ١٣٤ ـ ١٣٥

(٢) أنظر : أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٣ ص٣٣٥ ؛ حتّى : تاريخ سورية ص١٩٥

لاتزال بيد جند الحمدانيين ، لكنها امتنعت عليهم . ورأى نقفور ألا يخاطر بالدخول فى معركة، بل آثر الانسحاب من حلب بغنائمه وأسراه إلى ممرات جبال طوروس بعد أن قضى بتلك المدينة تسعة أيام[٢] . وبذلك تيسر لسيف الدولة العودة إلى عاصمة ملكه .

ولما اعتلى نقفور فوكاس (Nicephorus II) عرش الدولة البيزنطية (٩٦٣ – ٩٦٩ م) واصل حملاته الحربية ضد البلاد الإسلامية المجاورة لدولته ، كما وجه جهوده إلى التخلص من مناوأة الحمدانيين ومد حدود دولته إلى سورية ، وقضى سنتى ٩٦٤، ٩٦٥م فى تنفيذ هذه السياسة ، فاحتل أذنه ، ثم حاصر المصيصة ، لكنه لم يلبث أن انسحب منها لتعذر حصوله على الأقوات ، وعسكر خارجها حيث أرسل إلى سيف الدولة الحمدانى هدية اشتملت على بغال ودواب وثياب رومية وصياغات ذهبية ، فأنفذ إليه سيف الدولة عدة هدايا مماثلة[١] . ومضت فترة قصيرة مال فيها الطرفان إلى الموادعة .

ظل الامبراطور نقفور الثانى يتطلع إلى بسط نفوذه على الثغور الإسلامية حتى إذا ما استعاد قوته وأيقن من ضعف هذه الثغور وعجزها عن الدفاع ، استقر رأيه على الزحف إليها سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) ؛ فقصد المصيصة وفتحها عنوة ونقل أهلها إلى بلاد الروم ، ثم اتجه إلى طرسوس ، فحاصرها حصاراً شديداً واضطر أهلها إلى الإذعان له ؛ ثم أمر بترحيلهم إلى أنطاكية ، وبعث معهم حامية من الروم[٢] .

لم يكن سيف الدولة وقتذاك فى حالة تُساعده على صد غارات الروم ؛

---

(١) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ١٩٣ – ١٩٤

(٢) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٢١١ – ٢١٢ ؛ ابن خلدون : ج ٤ ص ٢٤١

ففضلا عن الأحداث الداخلية التى واجهته ، كان يعانى وطأة المرض ، لذلك اضطر إلى طلب هدنة من نقفور ، يتبادل فيها الفريقان الأسرى ؛ فأجاب طلبه ، وسار سيف الدولة سنة ٣٥٥ هـ (٩٦٦ م) من ميافارقين إلى سُمَيْساط ، وأقام الفداء على شاطىء الفرات ؛ وفادى بمحمد بن ناصر الدولة وبأبى فراس الحمدانى وغيرهما بمن عنده من أسرى الروم ؛ وابتاع من الروم ثلاثة آلاف أسير مسلم بمائتين وأربعين ألف دينار .

وعلى الرغم من أن الروم دأبوا على إرسال حملاتهم إلى حدود الدولة الإسلامية ، فإنهم لم يستطيعوا التوغل فى أراضيها فى عهد سيف الدولة الحمدانى ؛ فلما توفى سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) أخذ الروم يتقدمون نحو سورية ، فاستولى جيش نقفور سنة ٩٦٩ م على أنطاكية التى كان يطمح إليها منذ زمن طويل لأنها كانت مدينة البطارقة والقديسين ، لذلك اعتبرت منافسة لبيزنطة من الناحية الدينية . وبعد احتلال أنطاكية بمدة وجيزة حاصر قائد نقفور مدينة حلب . واضطر قرعويه [١] الذى ثار إذ ذاك على سعدالدولة بن سيف الدولة الحمدانى إلى عقد صلح مع البيزنطيين [٢] سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) ؛ ومن شروطه [٣] :

١ — يؤدى المسلمون فى حلب جزية سنوية للروم قدرهما سبعمائة ألف درهم .

٢ — يظل قرعويه أميراً على المسلمين فى حلب ، على أن يخلفه بكجور ، ثم يولى امبراطور الروم أميراً يختاره من بين سكان حلب .

---

(١) كان غلاماً لسيف الدولة الحمدانى

(٢) Hitti, History of the Arabs, p. 460

(٣) أنظر : ابن العديم الحلبى : زبدة الحلب من تاريخ حلب جـ ١ ص ١٦٤ ـ ١٦٩

٣ — يُلزم قرعوية بصد أى جيش من البلاد الإسلاميه يحاول غزو الروم .

٤ — لا يحق للمسلمين فى حلب هدم الحصون أو بناء حصون جديدة .

* * *

تطورت العلاقات بين البيزنطيين والحمدانيين فى حلب فى عهد خلفاء سيف الدولة الذين عجزوا عن الاحتفاظ بنفوذهم فى إمارتهم وصاروا يستنجدون بالروم كلما حاق بهم خطر داخلى أو تعرضوا لتهديد القوات الفاطمية بالشام ؛ فبعث الأمير سعدالدولة بن سيف الدولة (٣٥٦—٣٨١هـ) إلى باسيل الثانى امبراطور الدولة البيزنطية يخبره بخروج غلامه بكجور التركى عليه ويطلب منه النجدة ، فأرسل باسيل إلى واليه بأنطاكية يأمره بمعاونته [١] . وحذا الأمير الحمدانى سعيد الدولة أبو الفضائل (٣٨١-٣٩٢هـ) حذو أبيه سعد الدولة فى الاستعانة بالامبراطور البيزنطى حين حاول الفاطميون الاستيلاء على حلب ؛ فسار باسيل بقواته لنجدته [٢] ؛ وبذلك أتيحت الفرصة أمام الروم للتقدم فى بلاد الشام .

(١) cambridge Mediaeval History Vol 4, p. 147

(٢) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى ص ١٦٦

— ٤ —

الفاطميون والبيزنطيون

اتجهت سياسة الفاطميين بعد أن امتد نفوذهم إلى مصر فى عهد المعز الدين الله الفاطمى سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) إلى استعادة المدن التى استولى عليها البيزنطيون فى شمال الشام ليقضوا بذلك على الأخطار التى تهدد نفوذهم فى هذه البلاد ؛ وقام بتنفيذ هذه السياسة القائد الفاطمى جعفر بن فلاح الذى جهز جيشاً كبيراً لاسترداد أنطاكية من الروم ، لكن الحملات الفاطمية التى أرسلت لإجلائهم عنها فشلت فى تحقيق هذه الغاية. وأخذ البيزنطيون يواصلون شن إغاراتهم على بلاد الشام ، فتقدم الامبراطور حنا زيمسكيس (John Tzimisces) فى سنة ٩٧٥م من أنطاكية إلى حمص ، ومنها إلى بعلبك . واضطرت دمشق إلى التسليم ودفع الجزية له ، كما سلمت له طبرية وقيسارية ، لكنه ما لبث أن عدل عن التقدم جنوباً لانتزاع بيت المقدس ، وسار شمالا حيث استولى على بعض المدن الساحلية مثل بيروت وصيدا . ولما حاول الاستيلاء على طرابلس أوقعت حامية المدينة يعاونها الأسطول الفاطمى الهزيمة بقواته . ثم عادت الجيوش البيزنطية إلى أنطاكية ، وعاد الامبراطور إلى القسطنطينية حيث توفى فى أوائل سنة ٩٧٦ م [١] .

ظل النزاع قائماً بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية حتى سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧م) حيث قدمت إلى مصر رسل الامبراطور باسيل الثانى (٩٧٦ - ١٠٢٥م) تحمل هدية للعزيز ، وتطلب عقد صلح بين الدولتين ؛ واشتملت الهدية على

---

(١) Cambridge Mediaeval History, Vol 4, p. 148

ثمان وعشرين صينية من الذهب ؛ فأجاب الخليفة الفاطمى طلب هؤلاء السُّفراء ، واشترط للصلح عدة شروط منها (١) :

١ — أن يطلق البيزنطيون سراح من عندهم من الأسرى المسلمين .

٢ — أن يُدعى للخليفة العزيز بجامع القسطنطينية فى خطبة الجمعة .

٣ — أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين مدة سبع سنوات .

لم يكن لهذه الهدنة أثر كبير فى وقف تيار الحرب بين الفاطميين والبيزنطيين ، لأن سيف الدولة أبا الفضائل بن حمدان أمير الحمدانيين بحلب لما علم بتوغل الفاطميين فى بلاد الشام بقيادة منجوتكين استنجد بإمبراطور الروم باسيل الثانى ، فأمده بحملة ، والتقت القوات المصرية والبيزنطية على ضفاف نهر العاصى ولحقت الهزيمة بالبيزنطيين سنة ٣٨١هـ ، وعاد منجوتكين إلى دمشق لنفاد الأقوات ؛ فاستاء العزيز لذلك وأمره بفتح حلب وأرسل إليه المؤن ؛ فسار منجوتكين إليها فى العام التالى وحاصرها حصاراً شديداً حتى اضطر أميرها إلى الاستنجاد بالامبراطور البيزنطى مرة ثانية .

لما رأى باسيل الثانى الخطر الذى يهدد بلاده من جراء هجوم الفاطميين على حلب ، عوَّل على السَّير إليها بنفسه ، فاستولى على حصن شَيْزَر ، ثم فتح حمص ، وأخذ يتابع سيره حتى وصل طرابلس ، ولما تعذر عليه فتحها عاد إلى القسطنطينية سنة ٣٨٥ هـ (٩٩٥ م) بعد أن بسط سلطانه على معظم ساحل الشام (٢) .

وعندما وقف العزيز على مدى تقدم البيزنطيين فى بلاد الشام ، استقر

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥١ — ١٥٢

(٢) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى ج ١ ص ١٦٦

رأيه على أن يسير بنفسه لصد قواتهم ، فجهز حملة برية ، كما أمر وزيره عيسى ابن نسطورس بإنشاء أسطول يسير بحرا إلى طرابلس . ولم يكد يتم إعداد هذا الأسطول حتى اشتعلت فيه النيران فى ميناء المقس وأحرقت منه ستة عشر مركبا ، فثار المصريون بالروم الذين كانوا يقيمون على مقربة من دار الصناعة بالمقس واتهموهم بتدبير مؤامرة إحراقه ، وما لبث العزيز أن قضى على الاضطرابات التى حدثت بالقاهرة بسبب إحراق الأسطول ، وأمر بإنشاء أسطول آخر ، فعمل وزيره عيسى بن نسطورس على تحقيق رغبته ، وشرع فى جمع الأخشاب وأمر الصناع بالإسراع فى إنجازه[١] . ولما تم بناؤه أبحر إلى أنطرطوس[٢] ، غير أن معظم سفنه لم تلبث أن تحطمت فى البحر على أثر هبوب عاصفة عليها ؛ وأسر الروم بعض رجال الأسطول المصرى[٣] . أما الحملة البرية ، فخرج على رأسها الخليفة العزيز إلى بلبيس . لكن المرض اشتد عليه فجأة ، فتخلف بها وتوفى سنة ٣٨٦ هـ (٩٩٦ م) .

ظل البيزنطيون ينتهزون الفرص للنيل من الفاطميين ، فلما خرج ملاح من أهل صور اسمه علاّقة ، واتخذ عملة جديدة نقش عليها اسمه ، وأعلن استقلال مدينته[٤] ، أرسل برجوان — الذى كان يلى إذ ذاك الوصاية على الحاكم — حملة كبيرة بقيادة جيش ابن الصمصامة الكتامى إلى صور . وكان علاقة الثائر بها قد صمد بعض الوقت فى وجه الجيش الفاطمى ، واستنجد بالامبراطور باسيل الثانى ووعده بتسليم صور ، فبعث إليه إمدادات فى البحر ، وأرسل برجوان

---

(١) المقريزى : خطط جـ ٢ ص ١٩٥ — ١٩٦

(٢) من أعمال طرابلس بلبنان وتقع على ساحل البحر

(٣) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى جـ ١ ص ١٧٨

(٤) حتى : تاريخ سورية ص ٢١٣

إلى مياه صور بعض سفن الأسطول الفاطمى ، فحوصرت المدينة من البر والبحر ، ونشبت بين الفريقين معارك شديدة، انتهى الأمر فيها بتسليم المدينة المحاصرة وسقوطها فى أيدى القوات الفاطمية وهزيمة البيزنطيين وحليفهم الأمير علاقة الذى أسر وأرسل إلى القاهرة حيث قتل . وواصل جيش بن الصمصامة الكتامى سيره إلى أفامية[1] (Apamea) ، وهناك التقى بالبيزنطيين فتغلب عليهم وأخذ يطاردهم حتى أبواب أنطاكية[2] .

وعلى الرغم من تتابع انتصارات الفاطميين على البيزنطيين، فإن برجوان عول على مهادنتهم ليتسنى له التفرغ للقضاء على الفتن الداخلية بمصر ؛ فأرسل باسيل يقترح عليه عقد الصلح ، فرحب الامبراطور البيزنطى بهذه الدعوة ، وأنفذ سفيرا إلى الخليفة الفاطمى ليتفق معه على شروط الصلح . وبينما كانت المفاوضات تدور فى القاهرة غزا باسيل بلاد الشام لوقف زحف القوات الفاطمية إلى أنطاكية ، وكاد مشروع الصلح ينهار لولا الفشل الذى لحق الامبراطور فى هجومه الجديد ، فارتد مسرعاً نحو أرمينية وآثر استتباب السلم فى حدود بلاده الجنوبية حتى يتفرغ لمواجهة البلغار .

استؤنفت على أثر ذلك المفاوضات فى القاهرة بين رجال الدولة المصرية والسفير البيزنطى . ولما تم الاتفاق على شروط الصلح ، انتدب برجوان أريسطيس بطريرك بيت المقدس لمصاحبة السفير البيزنطى فى سفره إلى القسطنطينية لعرض هذه الشروط على الامبراطور وإقرارها منه ، فقام أريسطيس بهذه المهمة ، وتم بذلك إبرام معاهدة صداقة بين مصر والدولة البيزنطية تقرر فيها ما يأتى :

---

(١) مدينة حصينة وهى كورة من كور حمص

(٢) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى ج ١ ص ١٨١ ـ ١٨٤

١ — تظل الهدنة قائمة بين مصر والدولة البيزنطية مدة عشر سنوات .

٢ — يتمتع المسيحيون الذين يقيمون فى أنحاء الدولة الفاطمية بالحرية الدينية ويسمح لهم بتجديد كنائسهم وبنائها .

٣ - يتعهد الامبراطور باسيل الثانى بإمداد مصر بما تحتاج إليه من الحبوب .

على أن الامبراطور البيزنطى لم يلبث أن قطع علاقته بالدولة الفاطمية حين وصلته أنباء سياسة الحاكم العدائية إزاء النصارى ، وظل الحال على ذلك إلى أن توفى هذا الخليفة سنة ١٠٢٠ م وخلفه ابنه الظاهر ، فحاولت عمته ست الملك — التى قامت بالوصاية عليه — توطيد العلاقة بين مصر والدوله البيزنطية ، وتنفيذاً لهذه الرغبة ، أرسلت نيقفور بطريرك بيت المقدس سفيراً إلى باسيل الثانى ليعمل على عقد أواصر الصداقة بين الدولتين وليخبره بالاجراءات التى اتخذت فى القاهرة لرفع الحَيْف عن النصارى وتجديد بناء الكنائس ؛ بيد أن هذه السفارة لم تأت بطائل ، وظلت غارات البيزنطيين تتوالى على شمال الشام حتى سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) حيث أنفذ الظاهر سفارة إلى الامبراطور قسطنطين الثامن لعقد الصلح ، فتم الاتفاق بين الفريقين على إبرام معاهدة تضمنت شروطاً التزم تنفيذها كل من الخليفة الفاطمى والامبراطور البيزنطى ، وفيما يلى هذه الشروط [1] :

١ — أن يُسمح للامبراطور البيزنطى بإعادة بناء كنيسة القيامة فى بيت المقدس .

٢ — أن يُسمح لكافة المسيحيين بإعادة بناء الكنائس التى هدمها الحاكم عدا التى حولت إلى جوامع .

(١) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى جـ ١ ص ٢٧٠ — ٢٧١

Wiet, Hist, de la Nation Egyptienne, (l'Egypte Arabe) p. 222-223

٣ — أن يعين الامبراطور البيزنطى بطريقاً فى بيت المقدس .

٤ — ألا يقوم الفاطميون بأى عمل عدائى نحو حلب ، حتى تقوم بسداد الجزية السنوى التى كانت تدفعها للدولة البيزنطية منذ عام ٩٧٠ م .

٥ — ألا تمد الدولة الفاطمية يد المساعدة لأى عدو من أعداء الدولة البيزنطية وخاصة أهل صقلية الذين هددوا الدولة وعاثوا فى جزر بحر الأرخبيل .

وكان الامبراطور البيزنطى يخشى انضمام الأسطول الفاطمى إلى هؤلاء ، فيتعذر عليه إخضاعهم .

وفى مقابل هذه الشروط ، يتعهد الإمبراطور بما يأتى :

١ — أن يعمل على ذكر اسم الخليفة الفاطمى فى الخطبة فى جامع القسطنطينية والمساجد الواقعة داخل حدود الدولة البيزنطية .

٢ — أن يعيد بناء جامع القسطنطينية .

٣ — أن يُطلق سراح الأسرى المسلمين الذين فى قبضة الروم .

٤ — ألا يُقَدِّمَ الإمبراطور أىَّ مساعدة لحسَّان بن مفرج بن الجراح الطائى صاحب الرملة الذى خرج على الخليفة الظاهر .

٥ — أن يسحب الإمبراطور طلبه الخاص بالاستعاضة عن شَيْزَر بأفامية .

على أن الأمر الذى يسترعى النظر فى هذا الصلح أن الامبراطور البيزنطى تعهد بإعادة بناء جامع القسطنطينية ، وكان قد هدم رداً على هدم كنيسة القيامة فى بيت المقدس ، فى عهد الحاكم بأمرالله . وظل البيزنطيون يهددون المسلمين بهدم هذا الجامع إذا تعرضوا لكنيسة القيامة .

لم يلبث البيزنطيون أن نقضوا هذا الصلح سنة ٤٢٢ هـ وانضموا إلى بعض أمراء العرب بالشام الذين كانوا يعادون الفاطميين ؛ فساروا ومعهم حسّان بن مُفرِّج بن الجراح الطائى صاحب الرملة — وكان قد لجأ إليهم بعد أن هزمه جند الخليفة الظاهر الفاطمى عند طبرية — وأغاروا على أفامية وغنموا منها مغانم كثيرة واستولوا على قلعتها وأسروا كثيراً من أهلها .

تحسنت العلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين فى أوائل عهد المستنصر بالله ، فعقد هذا الخليفة هدنة مع الامبراطور ميخائيل الرابع سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) وسمح له بإتمام إصلاح كنيسة القيامة على أن يُطلق سراح خمسة آلاف أسير مسلم ، فأخلى الامبراطور سبيل الأسرى وأرسل المعماريين إلى بيت المقدس ، وأنفق كثيراً من الأموال على تجديد بناء هذه الكنيسة [١] .

ولما ولى قسطنطين التاسع الحكم حافظ على استمرار العلاقات الودية مع الفاطميين ، فبعث إلى المستنصر بالله الفاطمى سنة ٤٣٧ هـ هدية عظيمة « اشتملت على ثلاثين قنطاراً من الذهب الأحمر قيمة كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية [٢] » .

---

(١) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ج ٢ ص ١٥٨ ، ١٦٢

(٢) الأبشيهى : المستطرف فى كل فن مستظرف ج ٢ ص ٥٤

استغل الخليفة المستنصر بالله الفاطمى فرصة صفاء العلاقات بينه وبين الدولة البيزنطية للعمل على إنعاش الحياة الاقتصادية فى دولته ، فأرسل سنة ٤٤٦ هـ على أثر المجاعة التى حلت بمصر إلى الامبراطور قسطنطين التاسع يطلب منه أن يمده بأربعمائة ألف أردب من القمح ، فأظهر الإمبراطور استعداده لإجابة هذا الطلب ، لكنه لم يلبث أن توفى وخلفته الامبراطورة تيودورا ، فاشترطت لتقديم هذه المساعدة أن يمدها المستنصر بالجنود إذا ما اعتدى على دولتها أى معتد . غير أن المستنصر رفض الموافقة على هذا الشرط ، فأجابته تيودورا على ذلك بأن حالت دون إرسال الغلال إلى مصر .

أثارت سياسة هذه الامبراطورة غضب الخليفة المستنصر وعوّل على محاربتها ، فجهز حملة تحت قيادة مكين الدوله الحسن بن مُلهم ، وما لبث هذا القائد أن نزل بالقرب من أفامية ثم تجوّل فى أعمال أنطاكية (١) .

لما رأت الامبراطورة تيودورا مبلغ الخطر الذى يهددها من ناحية مكين الدولة ، أرسلت حملة بحرية أوقعت به الهزيمة ، وأسر هو وكثير من جنده سنة ٤٤٧ هـ ، وكان ذلك مما حمل المستنصر على أن يعهد للقاضى أبى عبد الله القضاعى بالذهاب إلى القسطنطينية لتسوية الخلاف بين الدولتين ، فلم تحفل الامبراطورة بوجوده ، على حين رحّبت برسول السلطان طغرلبك السلجوقى الذى قدم إذ ذاك من العراق ومعه رسالة من السلطان يلتمس فيها أن يُصلى رسوله فى جامع القسطنطينية ، فأذنت له بذلك ، فدخله وأدى فيه صلاة الجمعة وأقام الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباسى .

---

(١) المقريزى : خطط جـ ١ ص ٣٣٥

ولما وقف المستنصر على سياسة الامبراطورة العدائية إزاءه والإساءة التى لحقت بسفيره ، بعث فى طلب كنوز كنيسة القيامة ونفائسها ، ثم استولى عليها [١] ؛ فازداد بذلك التوتر فى العلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين .

عاد العداء بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية سيرته الأولى ؛ وظل الحال على ذلك إلى أن وجه الصليبيون حملاتهم إلى بلاد الشام ، وأسسوا بها إمارتى أنطاكية وبيت المقدس ؛ وصاروا يشتبكون من وقت لآخر فى معارك حربية مع القوى الإسلامية بتلك البلاد وبخاصة فى عهد نور الدين محمود أمير حلب الذى قوى أمره بضم دمشق إليه سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٤ م) .

ولما أخذت الأخطار تواجه الفرنجة ببيت المقدس من جراء إزدياد نفوذ نور الدين محمود ، بعث ملكها أمورى يستنجد بملوك أوربا لإحباط أطماع نور الدين . لكن دعوته لم تلق استجابة منهم لانشغال غالبيتهم بمسائل تتعلق بدولهم ؛ فلجأ إلى مانويل كومنين إمبراطور الدولة البيزنطية الذى رحب بمد يد المعونة إليه ؛ ومن ثم اتحد الفرنجة مع البيزنطيين ، وتوجهت قواتهم إلى دمياط يعاونهم أسطول بيزنطى مزود بالمؤن والعتاد الحربى ، فوصلوا إليها فى صفر سنة ٥٦٥ هـ [٢] (١١٦٩ م) وكان الامبراطور البيزنطى يرجو أن تحقق هذه الحملة أطماعه فى توسيع رقعة البلاد الداخلة فى دائرة نفوذه .

رأى صلاح الدين وزير الخليفة العاضد الفاطمى بعد أن بلغه مسير هذه الحملة إلى دمياط ، أنه لابد من الهوض لصدهم ؛ فأرسل جنده عن طريق النيل

---

(١) Stanley lane-Poole, A History of Egypt in The Middle Ages.
ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٦

(٢) المقريزى : خطط جـ ٢ ص ٢١٥

بقيادة ابن أخيه تقى الدين عمر وخاله شهاب الدين محمود ، وأمدهما بالسلاح والذخائر والمال ؛ وبعث إلى نور الدين محمود يطلب منه النجدة ، فاستجاب نور الدين لدعوة صلاح الدين وبعث إليه الأمداد[1] ، كما حرص الخليفة العاضد على إمداده بالمال .

على أن هؤلاء المغيرين على دمياط من الفرنجة وحلفائهم البيزنطيين لم يتيسر لهم تحقيق غرضهم ، فقد تسرب القلق إلى نفوسهم من جراء ماعانوه فى سبيل تموين قواتهم ، كما وقع الخُلف بين قوادهم على الخطة التى يتبعونها لمهاجمة هذه المدينة ؛ وفضلا عن ذلك فإن ما بلغهم عن قيام نور الدين بمهاجمة بعض بلاد الإمارات اللاتينية حملهم على الإسراع فى رفع الحصار عن المدينة والرجوع بجيوشهم إلى بلادهم فى ربيع الأول سنة ٥٦٥ هـ (١١٧٠ م) ؛ وبذلك فشلت حملة الفرنجة والبيزنطيين فى غزو دمياط والاستيلاء على مصر .

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ج ١ ص ١٨١

مصادر البحث

١ — ابن الأثير : (ت ٦٣٠ هـ ، ١٢٣٨م) علي بن أحمد بن أبي الكرم
الكامل فى التاريخ (١٢ جزءاً — القاهرة ١٣٠٣ هـ)

٢ — البلاذرى : (ت ٢٧٩ هـ ، ٨٩٢ م) أحمد بن يحيي بن جابر
فتوح البلدان (القاهرة — ١٣٥٠ ، ١٩٣٢ م)

٣ — بينز : نورمان — Baynes : Norman. H.
The Byzantine Empire

٤ — بيورى Bury : J. B.
A History of the Later Roman Empire

٥ — حتّي : فيليب Hiiti : Philip. K.
(ا) History of the Arabs

٦ — (ب) History of Syria
نقله إلى العربية الدكتور كمال اليازجي باسم تاريخ سورية ولبنان وفلسطين

٧ — حسن ابراهيم حسن :
تاريخ الاسلام السياسى (الجزء الثانى — القاهرة ١٩٥٨ م)
(الجزء الثالث — القاهرة ١٩٤٦ م)

٨ — الطبرى : (ت ٣١٠ هـ ، ٩٢٢ م) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى
تاريخ الأمم والملوك (٨ أجزاء — القاهرة ١٣٥٨ هـ ، ١٩٣٩ م)

٩ — ابن العديم الحلبي : (ت ٦٦٠ هـ ، ١٢٦١ — ١٢٦٢ م)
كمال الدين أبو جعفر أو أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله
زبدة الحلب من تاريخ حلب

١٠ — فازيليف Vasiliev. A, A.
Histoire de l'Empire Byzantine (ا)

١١ — (ب) Byzance et les Arabes
نقله إلى العربية الدكتور محمد عبدالهادى شعيرة باسم العرب والروم .

١٢ — أبو الفدا : (ت ٧٣٢ هـ ، ١٣٣١ م) اسماعيل بن على عماد الدين صاحب حماه .
المختصر فى أخبار البشر (٤ أجزاء — القاهرة — ١٣٢٥هـ)

١٣ — فنلى : جورج Finlay : George,
History of the Byzantine Empire

١٤ — فييت : جاستون Wiet : Gaston
Histoire de la Nation Egyptienne Vol. IV. 1939 :
l'Egypte Arabe (ed. by Hanoutau)

١٥ — أبو المحاسن : (ت ٨٧٤ هـ ، ١٤٦٩م) جمال الدين يوسف بن تغرى بردى
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (نشر دار الكتب المصرية) .

١٦ — المسعودى : (ت ٣٤٦ هـ ، ٩٥٦ م) أبو الحسن على بن الحسن بن على
التنبيه والاشراف (طبعة دى غوية — لَيْدن ١٨٩٧ م)

١٧ — مسكويه : (ت ٤٢١ هـ ، ١٠٣٠ م) أبو على أحمد بن محمد
كتاب تجارب الأمم .

١٨ — المقريزى : (ت ٨٤٥ هـ ، ١٤٤١ م) تقى الدين أحمد بن على
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (جزءان — بولاق ١٢٧٠هـ)

١٩ — ميور وليام تمبل ، Muir : william Temple
The caliphate, Its Rise, Decline and Fall.

١٢ — ياقوت : (ت٦٢٦هـ . ١٢٣٩م) شهاب الدين أبو عبدالله الحموى الرومى
معجم البلدان (١٠ أجزاء — القاهرة — ١٩٠٦)

٢١ — يحيى بن سعيد الأنطاكى : (ت ٤٥٨ هـ ، ١٠٦٦ م)
صلة كتاب سعيد بن بطريق المسمى « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » (جزءان — بيروت ١٩٠٩ م)

٢٢ — تاريخ كامبردج العصور الوسطى
Cambridge Mediaeval Hitosry. vol Iv.

دار الثقافة العربية للطباعة
شارع السد ٢ شارع مراد ـ السيدة زينب
تليفون ٢١٦٧٨

دار الثقافة العربية للطباعة
شارع السد ٢ شارع مراد ـ السيدة زينب
تليفون ٢١٦٧٨